سلسلة تفريغات شبكة بينونة

أما آن لك أن تتوب

الشيخ
د. هشام بن خليل الحوسني

www.baynoona.net
@baynoonanetUAE
@baynoonanet

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

أَمَا آن لك أن تتوب

للشيخ

د. هشام بن خليل الحوسني

حفظه الله تعالى

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونسعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمدًا عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ثم أمَّا بعد...

فاعلموا -معاشر الأفاضل- أنَّ حقيقة التوبة هي: الرجوع إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالتزام فِعل ما يُحبُّ وتَرْك ما يكره، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور:٣١]؛ فكلُّ تائبٍ مُفلِح، ولا يكون مُفلحًا إلَّا مَن فَعَلَ ما أَمَرَ به وتَرَكَ ما نَهَى عنه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الحجرات:١١]، وتارك المأمور ظالم، كما أنَّ فاعل المحظور ظالم، وزوال اسم الظُّلم عنه إنَّما يكون بالتوبة الجامعة للأمرَيْن؛ فالناس قسمان: تائبٌ وظالمٌ ليس إلَّا.

فإذًا التوبة هي حقيقة دِين الإسلام، والدِّين كلُّه داخلٌ في مُسمَّى التوبة؛ وبهذا استحقَّ التائب أن يكون حبيب الله فـ ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:٢٢٢]؛ وإنَّما يحبُّ الله مَن فَعَل ما أَمَرَ به وتَرَكَ ما نَهى عنه.

لذلك يُخاطب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في كتابه الكريم عباده بألطف خطاب طالبًا منهم الإقبال عليه، والنجاة بأنفسهم، والمسارعة بالتوبة والخيرات والحسنات في غير ما آية؛ فيا مَن أَسرفتَ على نفسك بالمعاصي والذنوب وابتعدتَ عن علَّام الغيوب، ها هو ذا ربُّك الكريم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُنادِيك، وهو أرحم بك، فيُخاطبكَ بأجمل خطابٍ قائلًا: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

وهذا -معاشر الفضلاء- عامٌّ في جميع الذنوب والمعاصي من كُفرٍ وشِرْكٍ وشكٍّ ونفاق وقَتْلٍ وفِسْقٍ وغير ذلك، كل مَن تاب من أي ذلك تاب الله عليه كما صحَّ عن نبيِّكم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذ قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»(١).

وقد جاء في حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنَّ ناسًا من أهل الشِّرْك كانوا قد قَتَلوا وأكثروا وزنوا، فأتوا محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقالوا: **"إنَّ الذي تقول وتدعو إليه لحَسَن لو تُخبرنا أنَّا لِمَا عَمِلْنا كفَّارة"**؛ فنزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾[الفرقان:٦٨]، ونَزَل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣]"(٢).

وروى الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- عن عمرو بن عَبسة قال: **"جاء رجلٌ إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شيخٌ كبيرٌ يُدعِّم على عصًا له، فقال: "يا رسول الله، إنَّ لي غَدَراتٍ وَفَجَرَاتٍ، فَهَلْ يُغْفَرُ لِي؟ قَالَ:** «أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» **قَالَ: بَلَى، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ:** «قَدْ غُفِرَ لَكَ غَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ»(٣).

فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يغفر جميع ذلك مع التوبة، فلا يقنُطنَّ عبدٌ من رحمة الله وإن عظُمَتْ ذنوبه وكثُرَتْ فإنَّ باب التوبة والرحمة واسع، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة:١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء:١١٠]، وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾[النساء:١٤٥،١٤٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[البروج:١٠].

---

(١) أخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (٢٢/ ٣٠٦) (٧٧٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦٨٢١)، و في ((الحلية)) (١٠/ ٣٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٤٥١)، والطبراني في ((مسند الشاميين)) (٣٥٠٠) باختلاف يسير.

قال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: **"انظر إلى هذا الكرم والجُود، قتَلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة"**[١]؛ والآيات في هذا كثيرةٌ جدًّا.

فيا أيها العاصي -وكلُّنا ذلك- لا تقنط من رحمة الله بسوء أعمالك، فأحسِن الظنَّ بمولاك وتُبْ إليه فإنَّه لا يهلك على الله إلا هالك.

إذا أوجعتْكَ الذنوب فداوها ... بِرَفْعِ يدٍ بالليل والليل مُظلمُ

ولا تقنطنَّ من رحمة الله إنَّما ... قنوطك منها من ذنوبك أعظم

فرحمته للمحسنين كرامةٌ ... ورحمته للمذنبين تكرُّمُ[٢]

روى الترمذي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- عن أنسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: **"سمعتُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول:** «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[٣].

فبادروا عباد الله إلى التوبة؛ فإنَّ ربكم سبحانه يستحثُّكم إلى المسارعة إليها، فيقول: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾؛ أي: ارجعوا إلى الله واستسلموا له ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾[الزمر:٥٤]؛ أي: بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/٨٦).

(٢) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص (٢١٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) واللفظ له، وأحمد (١٣٤٩٣) مختصراً بمعناه.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[الزمر:٥٥،٥٦]؛ أي: يوم القيامة يتحسَّر المجرم المُفرِّط في التوبة والإنابة، ويودُّ لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لكنَّما كان عمله في الدنيا عمل ساخرٍ مُستهزئٍ غير مُوقِنٍ مُصدِّق ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر:٥٦-٥٨]؛ فيَودُّ أن لو أُعِيد إلى الدار الدنيا فيُحسن العمل.

قال ابن عباسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: **"أخبر الله سبحانه ما العباد قائلون قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه"**(١).

فلا تقنطوا -عباد الله- من رحمة الله، ولا تيأسوا منها فتُلقوا بأيدِيكم إلى التهلكة، وتقولوا: "قد كثُرَتْ ذنوبنا وتراكمَتْ عيوبنا"؛ فليس لها طريقٌ يُزيلها ولا سبيلٌ يصرفها؛ فتبقون بسبب ذلك مُصرِّين على العصيان، متزوِّدِين ما يُغضب عليكم الرحمن؛ ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالَّة على كرمه وجُوده، واعلموا أنَّه ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر:٥٣].

وأنَّه يغفر الذنوب جميعًا من الشِّرْك والقَتْل والزنا والربا والظُّلم وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣]؛ أي: وَصْفه المغفرة والرحمة.

يُوالِي النِّعَم على العباد والفواضل في السر والجِهار، والعطاء أحبُّ إليه من المَنْع، والرحمة سَبَقت الغضب وغلبته.

أخرج ابن المبارك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في **[الزُّهْد]** عن طَلْق بن حبيبٍ قال: **"إنَّ حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العباد، وإنَّ نعمة الله أكثر من أن تُحصَى؛ ولكن أصبحوا تائبِين وأمسوا تائبين"**.

---

(١) تفسير الإمام الطبري (٤٥/ ١٢).

فاعلموا -رحمكم الله ورعاكم- أنَّ الله غفورٌ رحيم، وأنَّ لمغفرة الله ورحمته ونَيْلهما أسباب إن لم يأتِ بها العبد؛ فقد أغلَقَ على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلُّها، بل لا سبب لها غيره: الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرُّع والتألُّه والتعبُّد.

فهلُمَّ إلى هذا السبب الأجلّ والطريق الأعظم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[التحريم:٨] الآية؛ والنُّصْح في التوبة هو الصِّدْق فيها والإخلاص لله -عَزَّ وَجَلَّ- وتعميم الذنوب بها.

فليست التوبة أن يقول الإنسان بلسانه: "أتوب إلى الله" وهو مُصِرٌّ على معصية الله، وليست التوبة أن يقول ذلك وهو متهاونٌ غير مُبالٍ بما جرى منه من معصية الله، وليست التوبة أن يقول ذلك وهو عازمٌ على أن يعود إلى معصية الله؛ فلابد في التوبة من الندم والاستغفار.

قِيل لابن مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: **"أنت سمِعْتَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»؟ قال: "نعم"**[1].

وجاء في حديث أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قالت: **"قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:** «فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ النَّدَمُ وَالاسْتِغْفَارُ»[2]؛ فعليكم -معاشر الفضلاء- بالندم والعزم على عدم العودة لهذا الذنب إن وَقَعَ المسلم فيه، والإقلاع عنه والإكثار من الاستغفار والتضرُّع لله عَزَّ وَجَلَّ.

وإن كان بدعةً فعليه أن يترُكها ويُجانبها، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللهَ احْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ»[3]، ويُشترط في توبة المبتدع:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٢) واللفظ له، وأحمد (٣٥٦٨).

(٢) أخرجه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (١٢٠٨)، وشعيب الأرناؤوط في ((تخريج مشكل الآثار)) (٤/ ١٠٣).

(٣) أخرجه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (١٦٥٧)، والألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (١٦٢٠)، وفي ((صحيح الجامع)) (١٦٩٩).

البيان: لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٠]، وإن كانت مظالم للناس؛ فليحرص على التحلُّل منها.

أيُّها الناس، توبوا إلى ربِّكم قبل غَلْق باب التوبة عنكم، فإنَّ الله يقبل توبة عبده ما لم يُغرغر برُوحه، فإذا بَلغَتْ الروح الحلقوم فلا توبة؛ فإنَّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[النساء:١٧،١٨].

ومن شروط هذه التوبة: أنَّها تُقبَل ما لم تطلُع الشمس من مغربها لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»(١)، وجاء في حديث صفوان بن عسَّالٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِنَّ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ لَبَابًا مَسِيرَةُ عُرْضِهِ أَرْبَعُونَ عَامًا أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً، فَتَحَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لِلتَّوْبَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يُغْلِقُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ»(٢)، والحديث في [صحيح الترغيب].

ثم اعلموا -يا رعاكم الله- أنَّ توبة المرء بعد مواقعته الذنب في كل وقتٍ تُخرجه عن حد الإصرار على الذنب، جاء في حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إِنَّ رَجُلًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: أَيْ رَبِّي، أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: عَبْدِي عَمِلَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ قَالَ: رَبِّي، إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؛ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ قَالَ: رَبِّي، إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٣)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١١٧٩)، وأحمد (٧٧١١).

(٢) أخرجه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٣١٣٧).

فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيأْخُذُ بِهِ؛ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»[١].

فلا يُقنِّطَنَّك الشيطان يا عبد اللهِ من رحمة الله؛ بل بادر إلى التوبة والاستغفار والإقبال على الله منطرحًا بين يديه باثًّا شكواك إليه، مُنِيبًا منكسرًا خاضعًا إليه، مُحسنًا الظن به -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ فبادروا -معاشر الفضلاء- رجلًا كان أو امرأةً، بادروا إلى التوبة إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، أيُّها المسلم، لا يُقنِّطك الشيطان من رحمة الله، وأيَّتُها المسلمة، لا ييئِّسُكِ الشيطان من رحمة الله، ولا يُقنِّطُكِ من رحمة الله؛ بل اعملي فكلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له.

على المسلم أن يتوب إلى الله ويُبادر بالأعمال الصالحات، ويُبادر بالتوبة والحسنات؛ فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- توَّابٌ كريم.

قِيل للحسن البصري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: "أَلَا يستحِي أحدنا من ربِّه، يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود. فقال: **"ودَّ الشيطان لو ظَفَرَ منكم بهذا؛ فلا تملُّوا من الاستغفار"**[٢]؛ فاحرصوا -معاشر الإخوة والأخوات- على الاستغفار والإكثار منه؛ فقد كان نبيُّكم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُكثِر من الاستغفار، وكان الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- يُحصون له في مجالسه الاستغفار الكثير.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: **"سمعتُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»**[٣].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٢٢).

(٢) جامع العلوم و الحكم لابن رجب الحنبلي (١/٤١٥)

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

وروى أبو داود وغيره عن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: **"كُنَّا نعُدُّ لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في المجلس الواحد مئة مرة «ربِّ اغفر لي وتُب عليَّ إنَّك أنت التواب الرحيم»**[1].

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ثُمَّ يُصَلِّي وجاء في بعض الروايات: ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ- ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ﴾[آل عمران:١٣٥]»[2].

فالعبد -معاشر الفضلاء- إذا أذنَبَ نُكِتَ في قلبه نُكتة سوداء كما قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ مِنْهَا، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حتى يُغَلَّفَ بِهَا قَلْبُهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤]»[3].

وجاء في حديث مُعاذٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: **"قلتُ: يا رسول الله، أوصِني. قال:** «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ مَا اسْتَطَعْتَ، وَاذْكُرِ اللهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وشَجَرٍ، وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ فَأَحْدِثْ لَهُ تَوْبَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ وَالعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٢٩٢)، وابن ماجه (٣٨١٤)، وأحمد (١٨٧٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢١)، والترمذي (٤٠٦) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١٠٧٨)، وابن ماجه (١٣٩٥)، وأحمد (٢).

(٣) أخرجه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٣١٤١).

(٤) أخرجه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٣١٤٤).

فلا تغفلوا عباد الله عن التوبة، ولا تيأسوا من روح الله؛ فكلُّ بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائِين التوَّابُون، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُم وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(١).

فأحسِنوا الظن بالله وسارعوا إليه بالتوبة، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُم، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(٢).

فربكم -معاشر الإخوة والأخوات- يفرح بتوبتكم وإقبالكم عليه، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلَكَة ومَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ، فَأَضَلَّهَا فَخَرَجَ فِي طَلَبِهَا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي فَأَمُوتُ فِيهِ، فَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي أَضَلَّهَا فِيهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فَاسْتَيْقَظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا زَادُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ؛ فَاللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُل»(٣).

وجاء في حديث عُقبة بن عامر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: **"قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:** «إِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَعْمَلُ الْحَسَنَاتِ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعٌ ضَيِّقَةٌ قَدْ خَنَقَتْهُ ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً فَانْفَكَّتْ حَلَقَةٌ، ثُمَّ عَمِلَ حَسَنَةً أُخْرَى فَانْفَكَّتْ أُخْرَى حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْأَرْضِ»(٤).

كان هناك رجلٌ من أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الأنصار أسلَمَ ثم ارتَدَّ ولَحِقَ بالشِّرْكِ ثم تندَّم، فأرسَلَ إلى قومه: **"سلُوا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هل له من توبة"** فجاء قومه إلى رسول

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) باختلاف يسير.

(٣) أخرجه ابن حبان (٦١٨).

(٤) أخرجه المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٤/ ١٢٧).

الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يسألونه فقالوا: **"إنَّ فلانًا قد نَدِمَ، وإنَّه أمَرَنا أن نسألك: هل له من توبة"**؛ فنزَلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾[آل عمران:٨٦] إلى قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران:٨٩]؛ فأرسل إليه قومه فأسلَم(١).

جاء في بعض الروايات التي أخرجها ابن جريرٍ وغيره قال: **"فكَتَبَ بها قومه إليه فلمَّا قُرِئت عليه ويُشيرون بهذا إلى قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[آل عمران:٨٦-٨٩]؛ **فكَتَبَ بها قومه إليه، كَتبوا إليه بهذه الآيات فلمَّا قُرِئت عليه قال: "والله ما كَذَبَنِي قومي على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولا كَذَبَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والله أصدَقُ الثلاثة" قال: "فرَجَعَ تائبًا إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فقَبِلَ ذلك منه وخلَّى سبيله"**(٢)، والحديث حديثٌ صحيح.

وقد جاء في الحديث المعروف في الرجل الذي قَتَلَ تسعةً وتسعين نفسًا في حديث أبي سعيدٍ الخدري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: **"أنَّ نبي الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ مَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدْ اللهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ»**؛ وهذا فيه دِلالة على أنَّ المسلم إذا تاب من الذنب وأقلع عنه أن يُغيِّر صُحبته السيِّئة التي تجُرُّه إلى معصية الله وإلى غضبه.

---

(١) أخرجه الألباني في ((صحيح النسائي)) (٤٠٧٩).

(٢) أخرجه الذهبي في ((المهذب)) (٧/ ٣٣١٨)، والألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٧/ ١٨٥).

قال: «فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ فَأَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ تعالى، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»(١).

وجاء في روايةٍ: «فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا»(٢).

وجاء في روايةٍ أخرى: «فأَوْحَى اللهُ إلى هذِه أنْ تَباعَدِي، وَإِلَى هذِه أنْ تَقَرَّبِي، وقالَ: قِيسُوا بينَهُما، فَوُجِدُوهُ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ له»(٣). وجاء في روايةٍ قال قتادة: "قال الحسن: ذُكِرَ لنا: «أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ نَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا»(٤)؛ وهذا من فضل الله -عَزَّ وَجَلَّ- ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الجمعة:٤].

جاء عن أبي ذرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أُخِذَ بِمَا مَضَى وَبِمَا بَقِيَ»(٥).

فعلينا -معاشر الفضلاء- أن نتوب إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ونصدُقَ في توبتنا ونلجأ إليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ونتضرَّع بين يديه حتى يتوب علينا ويمُنَّ علينا بالتوبة والغُفران.

جاء كذلك في توبة كعب بن مالكٍ وأصحابه الذين تخلَّفوا عن الغزو مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فأنزل الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيهم آياتٍ تُتْلَى إلى يومنا هذا، أنزَلَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في توبتهم هذه الآيات،

---

(١) أخرجه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢٠٧٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٣/ ١٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٦٦).

(٥) أخرجه الفسوي في ((المعرفة والتاريخ)) (٢/ ٣٥٧)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٦٨٠٦)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٦٥/ ٣٧٤) باختلاف يسير.

قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة:١١٧،١١٨].

فتوبة العبد -معاشر الإخوة والأخوات- توبة العبد محفوفةٌ بتوبةٍ عليه من الله قبل ذلك وتوبةٍ بعد ذلك.

يقول الإمام ابن القيِّم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في مدارجه، يقول: **"وتوبة العبد إلى ربه محفوفةٍ بتوبةٍ من الله عليه قبلها وتوبةٌ منه بعدها، فتوبته بين التوبتَيْن من الله سابقة ولاحقة؛ فإنَّه تاب عليه أولًا إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبد فتاب الله عليه ثانيًا قَبُولًا وإثابةً[1]"**.

وهذا كما جاء في هذه الآية التي أخبر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أنَّ توبته على كعبٍ وصاحبَيْه كانوا أنَّه لمَّا تاب عليهم سَبَقَتْ توبتهم توبة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عليهم، وأنَّها هي التي جعَلتهم تائبِين؛ فكانت سببًا ومقتضيًا لتوبتهم، فدلَّ ذلك على أنَّهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم.

نسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يمُنَّ علينا بالتوبة والمغفرة والهِداية والرشاد؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

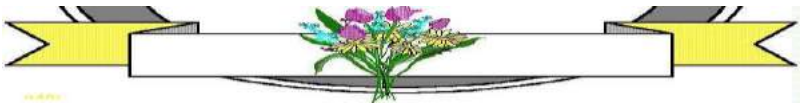

(١) مدارج السالكين (٣١٩/ ١).

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem
【 TikTok تيك توك 】
https://tiktok.com/@baynoonanet
【 Vk في كي 】
https://vk.com/baynoonanet
【 Linkedin لينكدان 】
https://www.linkedin.com/in/شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية-٦٦٩٣٩٢١٧١
【 Reddit ريديت 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 chaino تشينو 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 Pinterest بنترست 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 Snapcha سناب شات 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
-قريباً بإذن الله-
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

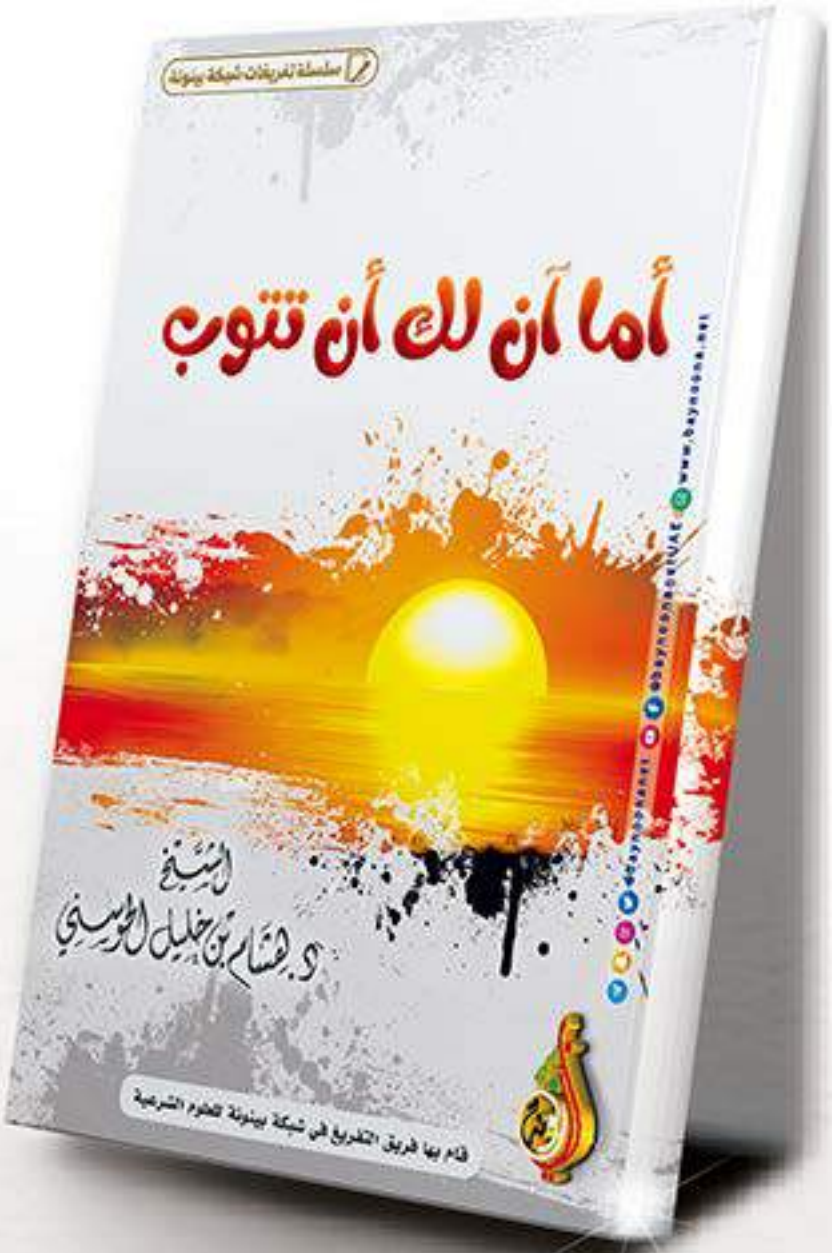

للمزيد من التفريغات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat